

نحو منهاج تكاملي فلسطيني

صورة المرأة في كتاب اللغة العربية

للف التاسع الأساسي (النسخة التجريبية)

د. هديل رزق - القزاز

عندما طلب مني أحد الزملاء في مركز القطان للبحث والتطوير التربوي مراجعة كتاب اللغة العربية للصف التاسع الأساسي لم أتردد، علماً بأن اللغة العربية ليست مجال اختصاصي، إلا أن هناك بعض القضايا التي تستوجب منا جميعاً الاهتمام بالمنهج الفلسطينية ومتابعتها، ومنها أولاً أن التعليم عملية مترابطة ومتكاملة، وما يدرسه الطلبة في موضوع دراسي محدد لا ينفصل عن مجمل العملية التعليمية والتربوية، ولعل الطريقة التي يتم التعامل بها مع المواضيع المختلفة على أنها صفحات مستقلة في حياة الطلبة، هي أهم ما يساهم في قتل الإبداع، وخنق روح التفكير الناقد.

من الصعب التقاء الأكاديمي بالعملية، ويكون من الصعب الوصول إلى المنهاج التكاملي الذي يطمح له الفلسطينيون.

أما السبب الثالث المهم، فهو أن تأليف المنهاج الفلسطيني ليس اختصاص مركز المناهج وحده، ولا فريق التأليف فقط، بل إن المشاركة وإبداء الرأي هدف أساسي، وإحجام التربويين والمثقفين، وأهل الخبرة والاختصاص أدى للفصل بين ما يتم تأليفه وبين طموحات وواقع المجتمع.

وبناء على تجربة خاصة لي في العمل في تأليف منهاج التربية المدنية، أعرف أن مركز تطوير المناهج سعى لاستقطاب كفاءات متميزة بعضها أحجم لاعتبارات شخصية ومادية، وقلة لاختلاف في الرؤيا التربوية والتوجهات، وفي كل الأحوال تأتي مبادرة مركز القطان للبحث والتطوير التربوي في مكانها ووقتها، حيث تخضع المناهج لفترة تجريبية يتم بعدها تعديل وتغيير الكتب بما يتلاءم مع النقد الذي يصل المركز من الميدان.

وكنت اطلعت على بعض هذا النقد الذي لم يتجاوز في كثير من الأحيان النقد الشكلي أو ملاحظات على اللغة وما إلى ذلك. لذا، نتمنى أن ينتج عن هذا النقد البناء تسليط الأضواء على بعض القضايا الخلافية، وإعادة النظر فيها في طبعا لاحقة من الكتاب.

إن فتح حوار مجتمعي حول قضايا المنهاج الفلسطيني واجب وطني مهم، وتحديد في ظل وضع هذه المناهج تحت المجهر من قبل مؤسسات خارجية معادية، أوصلت النقاش في بعض الأحيان للمستوى السياسي، وقامت بحملات شعواء طالت ممولي إعداد المناهج، وتسببت

إن عقول الطلبة يجب ألا تعامل على أنها صفحات مستقلة في جهاز كومبيوتر تتحرك بألية «اقلب الصفحة» أنت الآن في درس اللغة العربية، ثم اقلبها أنت في درس التربية المدنية، ما ينتج خليطاً هجيناً لا يربط اللغة بالمعرفة، ولا يربط الاثنين بالتفكير النقدي. ومع أن موضوع اللغة العربية هو موضوع متخصص، فإنه يجب ألا ينفصل في المحتوى والمضمون عن باقي الموضوعات الدراسية، بما في ذلك العلوم، والرياضيات، والتربية المدنية.

هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى، فتجربة مركز تطوير المناهج تجرية قصيرة في العمر وفي المعرفة، وعلى الرغم من توفر الكفاءات الأكاديمية المتخصصة، فما زالت التربية «الأكاديمية» التي تدرس في الجامعات الفلسطينية منفصلة إلى حد كبير عن التربية «العملية» التي تمارس في المدارس، وغالباً ما يكون الدرس التطبيقي الأول للمعلم أو المعلمة عندما يبدأ حياته العملية «انس ما تعلمته وأهلا بك في الواقع الصعب». حقيقة يكرسها التربويون الرسميون وغير الرسميين منهم بإيجاد الأعذار العديدة للمدرسين وواقعهم الصعب ورواتبهم المتدنية وما إلى ذلك. هذه المبررات التي تواجه مؤلفي المنهاج مثلما تواجه المراقبين والموجهين التربويين وأولياء الأمور والطلبة، فتأتي النتيجة الطموح للحد الأدنى من العملية التربوية وتخفيض التوقعات حتى يتغير هذا الواقع.

قد يأتي تأليف المناهج بأيدٍ متخصصة وقديرة في «موضوع التخصص الأكاديمي» وليس في مجمل العملية التربوية، ويعرض الكتاب للنقاش والفحص والتمحيص في مجال التربية العملية مع كل ظروفها المحيطة ومع كل المبررات الملصقة والمتجذرة، فيكون

التربية، وبوجه خاص على أساس المساواة بين الرجل والمرأة.

(ب) التساوي في المناهج الدراسية، وفي الامتحانات، وفي مستويات مؤهلات المدرسين، وفي نوعية المرافق والمعدات الدراسية.

(ج) القضاء على أي مفهوم نمطي عن دور المرأة والرجل، ودورها في جميع مراحل التعليم بجميع أشكاله، وذلك من خلال تشجيع التعليم المختلط وغيره من أنواع التعليم التي تساعد في تحقيق هذا الهدف، ولا سيما عن طريق تفقيح كتب الدراسة والبرامج المدرسية وتكييف أساليب التعليم.

فهل يفترض من الطالب/ة أن «يقلب الصفحة» عندما يدرس منهاج التربية المدنية، أم أننا ومن باب تشجيع التفكير النقدي سنترك الطلبة في تناقض دائم بين النصوص والممارسة ونترك لأي معلم/ة في الصف فرصة استخدام وصية أم لابنتها لتشجيع الزواج المبكر، فطلبة الصف التاسع يمكنهم بعد فترة قصيرة القبول بأول عرض زواج، وطالما قمنا بتوفير الوصية الملائمة فلا يجب أن نقلق على مستقبل بناتنا.

المناهج فلسفة متكاملة ورؤية شمولية وصورة المرأة ودورها يجب أن تتم مراعاتهما في كل كتاب لا أن نكتفي بما ذكر في كتاب سابق عن حقوق المرأة أو موازن عن صورة المرأة، ولا نتوقع أن نصاً كهذا لن يؤثر في تفكير الطلبة والطالبات، وتحديداً في تلك الفترة الحرجة من نموهم الجسمي والعقلي.

لو تصفحت الكتاب كاملاً فلن تجد نصاً آخر كتبه امرأة، فلا يوجد في الوطن العربي كله ولا في فلسطين شاعرات أو أديبات أو كاتبات، بينما يوجد العديد من الرجال، وتبحث عن أي ذكر آخر للمرأة فتجدها في «الدرس القاسي» لتشيوخوف، «يوليا» مربية الأطفال، امرأة عاجزة، ضعيفة، بلهاء يسلبها صاحب عملها كل أموالها، ويفرض قوته عليها دون أن تملك إلا البكاء والنحيب واحمرار الأنف والعين، وعندما يتضح أن صاحب العمل يمزح وأنه كان يجرب قوته عليها تشكره بخجل وتخرج. أما جهيزة التي قطعت قول كل خطيب، فهي أمة تنقل الأخبار، وربط تلقائي بصورة امرأة ثرثرة وتنشر الإشاعات. وأخيراً امرأة يقتل زوجها وأحد أبنائها أمام عينيها دون أن تفعل شيئاً، بل تخفي درعاً ذهبياً خوفاً من السرقة. هل تشبه هذه الصور صورة المرأة الفلسطينية القوية التي تتصدى بشجاعة لممارسات الاحتلال والتي تطالعا كل يوم في وسائل الإعلام المختلفة، أم أن الخضوع والاستسلام هو ما نعلمه للطلبة.

وعدت أفنتش مرة أخرى عن نساء أخريات، فوجدت «برتا» حبيبة نوبل ودافعه لكتابة وصيته حول جائزة نوبل العالمية، و«دعد» الأميرة النجدية التي تسابق الشعراء في نظم القصائد لها ومنها قصيدة «اليتيمة» التي ترد في الكتاب، ومرة أخرى ومع أن صورة المرأة تبدو في الظاهر ايجابية لكنها تبرز المرأة بعلاقتها بالرجل،

بأضرار عدة، فهل يعقل أن يوجد من الأعداء من يتابع إعداد المناهج الفلسطينية أكثر منا نحن الذين سಿದرسها أبناؤنا وبناتنا، وسوف تشكل وعيهم الوطني، وإمكانات التغيير المجتمعي والتنمية المستدامة.

لهذه الأسباب وغيرها قررت قراءة كتاب الصف التاسع للغة العربية من حيث مدى ملاءمته للقيم المدنية الحديثة القائمة على الديمقراطية والتعددية والمشاركة وقبول الآخر، مع التركيز على صورة المرأة في الكتاب، فالكتاب أولاً تدرسه طالبات وطلاب في الوقت نفسه، بعد دراسة عدة مراحل حاولت الكتب فيها تقديم صورة خجولة ومحدودة نوعاً ما لدور المرأة وصورتها في المجتمع. في الصفحة الأولى تطالعك قائمة أسماء المؤلفين، فإذا هي قائمة طويلة من ثمانية مؤلفين جميعهم من الرجال. قد يكون من غير الضروري أن تتضمن القائمة نساء، لكن ألا يوجد في فلسطين كلها امرأة متمكنة من قواعد اللغة العربية وأدائها وذات رؤية تربوية.

إن فريقياً لا يؤخذ بعين الاعتبار عند تشكيله وجود امرأة تشارك في التأليف يبدأ بداية غير سليمة، لا ترى النساء في المجتمع كشريكات في بناء هذا المجتمع، ومساهمات في تغييره وتنميته. وليس غريباً ألا ترى «مجموعة الخبراء الرجال» الكثير من الأمور التي تؤثر على صورة المرأة في المجتمع، فيما اختاروه من نصوص وفيما رغبوا في تمريره من قيم.

بتصفح الكتاب سريعاً أيضاً لا يوجد إلا نص واحد كتبه امرأة إعرابية قبل قرون عديدة «وصية أم لابنتها»، وهو ما يستوقف القارئ المتخصص طويلاً، ألا يوجد في تراننا العربي والإسلامي إلا هذه الوصية التي درستها والتي في طفولتها عندما كان التعليم للفتاة يعني «فقط» إعدادها لتكون زوجة صالحة، وربة بيت ماهرة؟! ألا يوجد في كل كتب التراث العربي والإسلامي والفلسطيني نص آخر غير هذا الذي تتناوله الأجيال المتعاقبة دون مقارنته مع احتياجات العصر ودور المرأة في بناء المجتمع وتنميته؟! جمال النص ولغته لا يبرر استخدامه في هذا العصر، فهو نص يكرس ويكل قوة تبعية المرأة ودونيتها، وكأن دورها في الحياة فقط أن تكون زوجة مطيعة، وأن عليها تقديم فروض الطاعة والولاء، وعليها أن تحسن من زينتها وأن تجهد نفسها في إرضاء زوجها. الغريب أن هذا النص يأتي في منهاج اللغة العربية في السنة نفسها التي يدرس فيها الطلبة في منهاج التربية المدنية دروساً حول حقوق المرأة، ويجدون ملحقاً في كتاب الصف التاسع للتربية المدنية اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، والتي تتضمن نصوصاً عدة تدعم القضاء على جميع أشكال التمييز، بما في ذلك التمييز في المناهج، والكتب الدراسية. المادة 10 من الاتفاقية تنص على أنه:

(أ) تتخذ الدول الأطراف جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة، لكي تكفل لها حقوقاً مساويةً لحقوق الرجل في ميدان

تظهر تلك الصورة التقليدية للمرأة في كتاب واحد، حتى لو ظهرت بصورة أفضل في كتب أخرى، إن لم يكن التزاماً باحترام حقوق المرأة ودورها في المجتمع، فليكن احتراماً لمشاعر وأفكار نصف عدد الطلبة من الفتيات اللواتي سوف يدرسن الكتاب، ونصف عدد الذين سيقومون بتدريس الكتاب، وليكن موقف المنهاج الفلسطيني متقدماً عن موقف المجتمع لا متأخراً عنه.

د. هديل رزق - القزاز - باحثة ومختصة في قضايا التعليم والتنمية

وتحديداً بعلاقة الحب والزواج، ولا تبرز نموذج امرأة قوية أو ناجحة لذاتها، أو مبدعة، أو حتى امرأة عادية من نساء فلسطين الرائعات اللواتي يسطرن كل يوم قصة من قصص البطولة والفداء والقدرة على الحفاظ على البيت والأسرة في ظروف عاصفة.

صورة المرأة في الكتاب، ربما لا تعكس وجهة نظر مركز المناهج الفلسطينية، ولكن أمام مركز تطوير المناهج التزاماً سياسياً وتربوياً يتطلب التدقيق في كافة الجوانب التي يقدمها أي كتاب بحد ذاته، والكتب في تكاملها مع بعضها البعض، وبالتالي ليس من مبرر أن

طبيعة اللغة وبنية النصوص في كتب اللغة العربية للصفين الرابع والتاسع

خالد جمعة

«... إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه، ولو فرضنا له منه أقل ما يمكن فرضه... الخ» درس 12 للصف التاسع.

«... بادر إلى ملء وعاء ملاءه بأصناف... الخ» نص العنب ص 13 للصف الرابع.

المطلوب هنا ملاحظة بنية اللغة وليس المفردات من حيث صعوبتها أو سهولتها. والكتابان ممثلان بأمثلة مشابهة.

ت - إن مقرر الصف التاسع تحديداً به ربط خاص بين الدين واللغة، وهذا ليس صحيحاً، إذ أنه ليس في صالح الدين وليس في صالح اللغة، فاللغة ذات مدى أوسع، فهي من المفروض أن تعبر عن الدين والسياسة والاجتماع والصناعة والإنترنت... الخ.

فيما يخص الحيز الدلالي والانخراط في عمليات البحث والاستقصاء المعرفي، أرى أن القائمين على اللغة أساساً معنيون ببقاء اللغة على ما هي عليه، ولم يخرج معدو المنهج عن هذه القاعدة، إذ ليس من المسموح للطالب أن يناقش في مسألة لغوية حسمها المازني أو ابن كثير، على اعتبار أنه ليس بالإمكان أبدع مما كان، وهذا قاد كما هو واضح إلى نصوص مغلقة الطرفين، مقولبة المعلومة، مصبوبة اللغة، فلا متسع لدلالات خارج ما يقوله النص، ولا قول إلا ما يقوله النص، سواء في مثالية الأشياء المطلقة كما في نص العائلة السعيدة في منهاج الرابع الابتدائي، أو الاحتكار الأمري للذوق باستتباعات الدروس «اقرأ واستمتع» في منهاج التاسع. فماذا سيحدث إذا قرأت ولم أستمتع؟ هل يمكن فرض الذوق؟ وإذا كان من الممكن ذلك، فأية مساحة يتركها فرض الذوق للإبداع؟

خالد جمعة - شاعر وكاتب يقيم في غزة

يمكن التحاور مع السؤال المعرفي الذي تطرحه الورقة بأشكال مختلفة تحكمها المنطلقات التي تؤدي لإطلاق الأحكام على النصوص، ولأن المعرفة هي موضوعياً نتاج غير محدد حتى لو أعطي الأشخاص المقدمات ذاتها، فإنها الأمر الأكثر إشكالية في تاريخ الوجود الإنساني.

ودخولاً إلى مبنى النصوص في مناهج الصفين الرابع والتاسع في مادة: «لغتنا الجميلة»، فإنني سأكتفي بمجموعة من الملاحظات العامة مورداً في النهاية رأيي حول فضاء الإبداع المفتوح للطالب في هذه النصوص باختصار:

أ - إن اللغة التي كتبت فيها النصوص، حتى تلك المختارة لكتاب خارج لجنة المناهج، هي لغة واحدة، أقصد من حيث المبنى، فلا مراعاة للفروق التي تميز بين موضوع عن البلاستك مثلاً وموضوع عن صلاح الدين الأيوبي، حيث أن الموضوع عموماً يخدم اللغة، فيما أن اللغة هي التي يجب أن تخدم الموضوع؛ لأنها خلقت أساساً لتعبر عنه، فالدين له لغته، والسياسة لها لغتها، والجغرافيا كذلك والاقتصاد... الخ.

ب - مشكلة اللغة العربية في رأيي هي مشكلة الشاهد اللغوي وليست مشكلة قائمة في ذات اللغة، ولو طبقنا هذا على مقرر الصف التاسع تحديداً، فسنرى العديد من المشكلات التي تواجه الطالب في التعامل مع «المستطرف في كل مستظرف» «المنتخب من أدب العرب» «المقري التلمساني»... الخ، فيما نواجه مقالاً على سبيل المثال مأخوذاً من مجلة الوعي الإسلامي العام 1968، وموضوعاً من ابن خلدون، وهذا يعزز إيغال اللغة العربية في التقعر فيما هي قابلة عملياً للحياة، ما يؤدي في نظري إلى التنافر بينها وبين المتلقي، وسأورد مثالين بسيطين: